

تفصيل بطولات أمير المؤمنين (عليه السلام) في غديريات علاء الدين الحدي

مسلم خوش بيان^١

الملخص:

لاشك أن من الأسباب الهامة للإنجازات التي حصلت للإسلام على الكفر هي بطولات أمير المؤمنين وصموده في الحروب وتضحياته. فالآيات القرآنية والروايات النبوية الكثيرة التي وردت في فضائله، تنبئ عن سمو مقام أمير المؤمنين ورفعته، غير أن اللغة عاجزة عن تبين تلك البطولات والتضحيات؛ لكن نسعى في هذا المقال أن ندرسها على قدر استطاعتنا في شعر علاء الدين الحلي من شعراء القرن الثامن الهجري.

والمفاهيم الرئيسية التي يذكرها الشاعر في باب البطولة والشجاعة لأمر المؤمنين هي كالتالي:

ذكر الحروب في صدر الإسلام والشجاعة والبطولة لأمر المؤمنين (عليه السلام)

ذكر أعداء أمير المؤمنين في الحروب

المقارنة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين الخلفاء في الشجاعة والفضائل

المفردات المفتاحية:

أمير المؤمنين (عليه السلام)، الغديرية، حروب صدر الإسلام، الشجاعة والبطولة

مقدمه

تعدّ من ميزات شعر هذا الشاعر وغديرياته هو ذكر فضائل مولى الموحدين علي (عليه السلام) وتفصيل قضية عاشوراء. كأنه يريد أن يقول بصراحة أن السبب الرئيس لأعظم ظلم في تاريخ البشر كلّهُ أي وقعة عاشوراء هو الظلم الذي جرى في حق أمير المؤمنين (عليه السلام) في عدم التمكين لولايته.

وليت ليس للشعر طاقة لأن يستوعب ذكر كافة بطولات أمير المؤمنين (عليه السلام) في سبيل ترسيخ الدين الإسلامي والإحتفاظ بالنبويّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ بطولات حيّرت ملائكة السماء فقالت: «لافتى الا على، لا سيف الا ذوالفقار»^٢ فالشاعر يشير إلى بعض هذه البطولات في فترة صدر الإسلام بشكل رائع ولم يشر إلى بعضها.

وفي مايلي ندرس بعض ما عالجه الشاعر من المفاهيم:

ذكر معارك صدر الإسلام وشجاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبطولاته

يصف الشاعر شجاعة أمير المؤمنين وبطولاته في غزوات بدر وأحد وخيبر وحنين، ونحن نشير إليها

هنا:

ينشد علاء الدين الحلّي في غديريته عن معركة خيبر:

أم يوم خيبرَ إذ براية أحمدٍ	ولّى لعمرُكَ خانفًا متوجّلاً
و مضى بها الثاني فأب يجرُّها	حذرَ المنيةَ هارباً و مهرولاً
هلاّ سألتهما و قد نكصا بها	متخاذلين إلى النبيّ و أقبلا
من كان أوردَها الحتوف سوى أبي	حسنٍ و قام بها المقام المهولا
و أباد مرحبهم و مدّ يمينه	قلعَ الرتاجَ و حصنَ خيبرَ زلزلا
يا علّة الأشياء و السببَ الذي	معنى دقيقٍ صفاته لن يُعقلا

٢. هَذَا الْيَوْمَ عَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِطَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِخْبَرَ نَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيٌّ مِنْ ذَهَبٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يَقُولُ بِلَا يُقَدُّ وَ الْأَقْقَارِ، وَلَا فَيْتَلَّ عَلِيٌّ (الكافي، ٢٧٠/١٥)

إلاّ لمن كُشِفَ الغطاءُ له و من
يُكفِيكَ فخرًا أنَ دينَ مُحَمَّدٍ
و فرائضُ الصلواتِ لو لا أَدَّها
يا من إذا عدَّتْ مناقبُ غيرِهِ
إدِّي لأعذرُ حاسديكَ على الذي
إن يحسدوك على علاك فإنَّما
شُدِّقَ الحِجابُ مجرِّدًا و توصَّلا
لو لا كمالُكَ نقصُهُ لن يكملا
قرنتَ بذكرِكَ فرضُها لن يقبلا
رجحتُ مناقبُهُ و كان الأفضلا
أولاك ربُّكَ ذو الجلال و فضلًا
متسافلُ الدرجاتِ يحسدُ من علا

(الغدِير، المجلد السادس، علاء الدين الحلِّي ، ٥٤٠- ٥٣٩)

ومن أشعار علاء الدين الحلِّي التي يمكننا أن نشير إليها في باب بطولات أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة بدر وأحد هي:

سَدُّ عَنْهُ بَدْرًا حِينَ وَافَى شَيْبَةً
و ثَوَى الْوَلِيدُ بِسَيْفِهِ مَتَعَفَّرًا
و بِيَوْمِ أُحُدٍ و الرِّمَاحُ شِوَارِعُ
مَنْ كَانَ قَاتِلَ طَلْحَةَ لَمَّا أَتَى
و أَبَادَ أَصْحَابَ اللِّوَاءِ و أَصْبَحُوا
هَذَا يُجْرُ و ذَاكَ يُرْفَعُ رَأْسُهُ
شَلَوْا عَلَيْهِ النَّائِحَاتُ تَعَدَّدُ
و عَلَيْهِ ثُوبٌ بِالدِّمَاءِ مَجْسَدُ
و الْبَيْضُ تَصْدُرُ فِي النُّحُورِ و توردُ
كَالْبَيْتِ يَرْعُدُ لِلْقِتَالِ و يَزِيدُ
مِثْلًا بِهِمْ يَرَوِي الْحَدِيثُ و يُسْنَدُ
فِي رَأْسِ مَنْتَصِبٍ و ذَاكَ مَقِيدُ

(الغدِير، المجلد السادس ، علاء الدين الحلِّي ، ٥٠٦)

وينعت في شعر آخر بطولات أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة بدر و أحد بهذا الشكل:

يا رُوحَ قَدَسٍ مِنْ اللَّهِ الْبَدِيءِ بَدَا
و رُوحَ أُنْسٍ عَلَى الْعَرْشِ الْعَلِيِّ بَدَا

يا علّة الخلق. يا من لا يُقاربُ خي
ميل به كَمَلُ الدينُ الحنيفُ ولل
وساحبَ النصِّ في خمٍّ وقد رفع الن
أنت الذي اختارك الهادي البشيرُ أختاً
أنت الذي عجبتُ منه الملائكُ في
و حقّ نصرك للإسلام. تكلّوه
ما فصلَ المجدُ جلباباً لذي شرفِ
يا كاشفَ الكربِ عن وجه النبيّ لدى
استشعروا الذلَّ خوفاً من لقاك و قد
ويومَ عمرو بن ودّ العامريّ و قد
أضحكتَ ثغرَ الهدى بشراً به و بكتُ

ر المرسلين سواء مشبهٌ أبدا...
إسلام. من بعدِ وهنٍ ميله عضدا
بيّ منه على رغم العدا عَضُدا
و ما سواك ارتضى من بينهم أحدا
بدرٍ و من بعدها إذ شاهدوا أّحدا
حياطةً بعد خطبِ فادحٍ و ردى
إلاّ و كان لمعناك البهيجِ ردا
بدرٍ و قد كثرت أعداؤه عددا
تكاثروا عدداً و استصبحوا عددا
سارتُ إليك سرايا جيشه مددا
عينُ الضلالِ له بعد الدما مددا

(الغدِير، المجلد السادس ، علاء الدين الحلّي، ٥١٣- ٥١٤)

وينشد الشاعر عن بطولة أمير المؤمنين وشجاعته في معركة حنين (هوازن):

و اسأل حنيناً حين بادرَ جرولُ
حتى إذا ما أمكنته غشاهمُ
و ثوى قتيلاًً أيمنٌ و تبادرت
و تفرّقت أنصارُه من حوله
ها ذاك منحدرٌ إلى و هدٍ و ذا
شاكِي السلاحِ لفرصةٍ يترصدُ
في فيلقٍ يحكيه بحرٌ مزبذُ
عُصَبُ الضلالِ لحتفِ أحمدَ تقصدُ
جزعاً كأذهمُ النعامُ الشرّدُ
حذرَ المنيةِ فوقَ تلغٍ يصعدُ

هلاّ سألتَ غداةَ ولّيتَ جمعهمُ
 خوفَ الردى إن كنتَ من يسترشدُ
 من كان قاتلَ جرولٍ و مذلّ جِي
 ش. هوازنَ إلاّ الوليّ المرشدُ
 كلُّ له فقدَ النبيُّ سوى أبي
 حسنِ عليّ حاضرٌ لا يفقدُ
 (الغدِير، مجلد السادس، علاء الدين الحلّي، ٥٠٧-٥٠٨)

ذكر أعداء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في الحروب

يصف الشاعر ضمن وصف بسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) وشجاعته، أعداءه أيضاً، بأنهم كانوا من أشبال العرب وأبطاله فهزمهم عليه السلام جميعاً. لكن يستمر الشاعر بذكر المصائب التي جرت على أهل بيت النبوة من جانب المرتدين عن دين الله.

هذا رسولُ اللهَ حسْبُك في غدٍ
 يومَ الحسابِ إذا الخليلُ جفاكِ
 و وصيُّه الهادي أبو حسنٍ إذا
 أقبلتِ ظاميةً إليه سقاكِ
 فهو المشقِّعُ في المعادِ و خيرُ من
 علقتُ به بعد النبيِّ يداكِ
 و هو الذي للدينِ بعد خمولِهِ
 حقاً أراكِ فهذَّبَت أراكِ
 لولاه ما عُرف الهدى و نجوت من
 متضايقِ الأشراكِ و الإشراكِ
 هو فُلكُ نوحٍ بين ممتسكٍ به
 كم مارقٍ من مازقٍ قد غادرت
 سل عنه بدرًا حين بادرَ قاصمُ
 مزقاً حدود حسامه البتّاكِ
 من صبباً صوبَ دم الوليدِ و من ترى
 الأملاكِ قائدَ موكبِ الأملاكِ
 و للهِ فوارسها بأُحدٍ من ترى
 أخلا من الدهمِ الحماةَ حماكِ
 و أطاح طلحةً عند مشتبكِ القنا
 ألقاكِ وجهَ الحتفِ عند لقاكِ
 و لَوَاكِ قسراً عند نكسِ لَوَاكِ

عَفَى فَنَاكَ وَ مِنْ أَبَاحِ فَنَاكَ
ضَيْقَ الشَّبَاكِ وَ فَلَ حَدَّ شَبَاكِ
بِيضِ الْمَذَاكِ فَوْقَ جَرْدِ مَذَاكِ
فِرْقَاً وَ أَدْبَرَ إِذْ قَفَاكَ قَفَاكَ
جَهَلُوا حَقُوقَ حَقِيقَةِ الْإِدْرَاكِ
أَوْلَاكِ قَدْ عُدَّتْ بَتٍ فِي أُخْرَاكِ
أَفْمَنْ إِلَى نَقْضِ الْعَهْودِ دَعَاكَ
مَتَعَمِّدَاً فِي بَغْضِهِ وَصَدَاكَ
هَذَا عَلَيُّكَ فِي الْعَلَى أَعْلَاكَ
إِدْرَاكِ كَلِّ قَضِيَّةِ إِدْرَاكِ
أَلْهَاكِ فِي دُنْيَاكِ جَمْعَ لُهَاكِ
فِي حَكْمِ كَلِّ قَضِيَّةِ أَقْصَاكِ
مِنْ بَأْسِهِ وَ الْغَدْرُ حَشْوُ حَشَاكِ
يَوْمَاً مَدَاكِ لَهُ سَنَنْتَ مَدَاكِ
وَ مَدَدْتَ جَهْلًا فِي خَطَاكِ خُطَاكِ
وَ لِبَعْلِهَا إِذْ ذَاكَ طَالَ أَذَاكَ
أَسْمَاكِ حِينَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاكِ
عَنْ إِرْثِ وَ الدِّكِّ النَّبِيِّ زَوَاكِ
سَخَطٍ وَ أَسْخَطَ إِذْ أَبَاكَ أَبَاكَ

وَ اسْأَلْ بِخَيْبِرَ خَابِرِيهَا مِنْ تَرَى
وَ أَذَاقَ مَرْحَبَكَ الرَّدَى وَ أَطْلَه
وَ اسْتَخْبِرِي الْأَحْزَابَ لَمَّا جَرَّدَتْ
وَ اسْتَشْعَرْتَ فِرْقَاً جَمُوعَكَ إِذْ غَدَتْ
قَدْ قَلْتَ حِينَ تَقَدَّمَتْهُ عَصَابَةٌ
لَا تَفْرَحِي فَبِكْثَرِ مَا اسْتَعْذَبْتَ فِي
يَا أُمَّةً نَقَضْتَ عَهْدَ نَبِيِّهَا
وَصَدَاكَ خَيْرًا بِالْوَصِيِّ كَأَنَّمَا
أَوْ لَمْ يَقُلْ فِيهِ النَّبِيُّ مِبْلَغًا
وَ أَمِينُ وَحْيِ اللَّهِ بَعْدِي وَ هُوَ فِي
وَ الْمُؤَثَّرُ الْمُتَصَدِّقُ الْوَهَّابُ إِذْ
إِيَّاكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ مِيهَ فَإِنَّهُ
فَأَطَعْتَ لَكِنْ بِاللِّسَانِ مَخَافَةً
حَتَّى إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ وَ لَمْ يَطُلْ
وَ عَدَلْتَ عَنْهُ إِلَى سِوَاهِ ضَلَالَةً
وَ زَوَيْتَ بَضْعَةَ أَحْمَدٍ عَنْ إِرْثِهَا
يَا بَضْعَةَ الْهَادِي النَّبِيِّ وَ حَقٌّ مِنْ
لَا فَازَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ مَعَانِدٌ
أَتْرَاهُ يَغْفَرُ ذَنْبًا مِنْ أَقْصَاكِ عَنْ

كلاّ و لا نالَ السعادةَ من غوى
و عداك ممتسكاً بحبلِ عداكِ
يا تيمُّ لا تمّت عليكِ سعادةٌ
لكن دعاكِ إلى الشقاءِ شقاكِ
لولاكِ ما ظفرتْ علوجُ أُميَّة
يوماً بعثرةَ أحمدٍ لولاكِ
تاللهَ ما نلتِ السعادةَ إنّما
أهواكِ في نارِ الجحيمِ هواكِ

(الغدِير، المجلد السادس، علاء الدين الحلّي، ٥٣١-٥٣٢)

المقارنة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين الخلفاء في البطولة والشجاعة والفضائل

يشير الشاعر في أبيات إلى بطولات وفضائل من أمير المؤمنين (عليه السلام) حضروها المغتصبون للخلافة، غير أنّ تتبين جدارة أمير المؤمنين وكفاءته وشجاعته وفضله عليهم في تلك الواقعة والمغتصبون لا يحصلون غير الخزي والحجز.

و بيومٍ خيرٍ إذ بريةَ أحمدٍ
ولّى عتيقٌ و البريةَ تشهدُ
و مضى بها الثاني فأب يجرُّها
ذلاًّ يوبّخ نفسه و يفندُ
حتى إذا رجعا تميّز أحمدُ
حرداً و حقّ له بذلك يحرّدُ
و غدا يحدثُ مُسمعاً من حوله
و القولُ منه موقّقٌ و مؤيّدُ
إذّي لأعطي رايتي رجلاً و في
بطلٌ بمختلسِ النفوسِ معوّدُ
رجلٌ يحبُّ اللهَ ثمّ رسولهُ
و يحبّه اللهُ العليُّ و أحمدُ
حتى إذا جنحَ الظلامُ مضى على
عجلٍ و أسفرَ عن صبيحته غدُ
قال انت يا سلمانُ لي بأخي فقال
لَ الطهرُ سلمانُ عليُّ أرمُدُ
و مضى و عاد به يُفادُ ألا لقد
شرفَ المقودُ علاً و عزَّ القيدُ
فجلا قذاهُ بنفلةٍ و كساه سا
بغةً بها الزردُ الحديدُ منضدُ

فيدُ تناولُهُ اللواءَ و كفهُ
 والأخضرُ زرُّدِ درعه و ذُبْدُ
 و مضى بها قدماً و أبَ مظفراً
 مستبشراً بالنصرِ و هو مؤيِّدُ
 و هوى بحدِّ السيفِ هامةً مرحبِ
 فبراه و هو الكافرُ المتمرِّدُ
 و دنا من الحصنِ الحصينِ و بابُهُ
 مستغلقُ حذرَ المنيةِ موصلُ
 فدحاه مقتلعاً له فغدا له
 حسدان ثابت في المحافلِ ينشدُ
 إنَّ امرأً حملَ الرتاجَ بخبيرٍ
 يومَ اليهودِ لقدره لمؤيِّدُ
 حملَ الرتاجَ و ماجَ بابَ قموصِها
 و المسلمون و أهلُ خبيرَ تشهدُ
 (الغدِير، علاء الدين الحلبي، ٥٠٥-٥٠٧)

وينشد في قصيدة أخرى:
 يا ليتَ شعري ما فضيلةُ مدَّعِ
 حكمَ الخلافةِ ما تقدّم أو لا
 أبعزله عند الصلاة مؤخِّراً
 و لو ارتضاه نبيّه لن يعزلا
 أم رده في يومِ بعثِ براءةِ
 من بعد قطعِ مسافةٍ متعجِّلا
 إن كان أوجَّ اللهَ جلَّ جلاله
 لنبيّه وحيّاً أتاه منزلاً لا
 أن لا يؤدِّيها سواك فترتضي
 رجلاً كريماً منك خيراً مفضلاً
 أ فهل مضى قصداً بها متوجِّهاً
 إلاَّ عليُّ يا خليليَّ أسألا
 (الغدِير، المجلد السادس، علاء الدين الحلبي، ٥٣٩)

ويجد الشاعر الشاهد لفضل أمير المؤمنين (عليه السلام) على المغتصبين في غير ساحة الحرب
ويتحدّث عن ليلة المبيت:

و مبيدُهُ فوقَ الفَراشِ مجاهداً
بمهادٍ خيرٍ المرسلين يُمهّدُ
و سواه محزونٌ خلال الغارِ من
حذر المنيةِ نفسُهُ تتصعّدُ
و تعدُّ منقبةً لديه و إنَّها
إحدى الكبائرِ عند من يتفقّدُ

(الغدِير، المجلد السادس، علاء الدين الحلّي، ٥٠٨)

ويتحدّث علاء الدين الحلّي في قسم آخر من غديريته وفي ضمن ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، يتحدّث عن النوائب والمصائب التي جرت على أهل البيت ومنها على أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

إذ قام يصدعُ خاطباً و يميذُهُ
بيمينه فوق الحدائجِ تعقّدُ
و يقول و الأملاكُ مُحذقةٌ به
و اللهَ مطّلعٌ بذلك يشهدُ
من كنتُ مولاه فهذا حيدرُ
مولاه من دون الأنامِ و سيّدُ
يا ربّ والٍ وليّه و اكبت مُعا
ديه و عاند من لحيدرٍ يعنّدُ
و اللهَ ما يهواه إلاّ مؤمنُ
برُّ و لا يقلوه إلاّ ملحدُ
كونوا له عوناً و لا تتخاذلوا
عن نصره و استرشدوه ترشدوا
قالوا سمعنا ما تقول و ما أتى
الروحُ الأمين به عليك يؤكّدُ
هذا عليُّ إمامنا و وليّنا
و به إلى نهجِ الهدى نسترشدُ
حتى إذا قُبِضَ النبيُّ و لم يكن
من بعده في وسطٍ لحدٍ يلحدُ
خانوا موثيقَ النبيِّ و خالفوا
لمقاله خيرُ البريةِ أحمدُ

عرفوا الصوابَ و في الضلالِ تردّدوا

لهمُ و لم يكُ قبلَ ذلك سيّدُ

سادتُ على الساداتِ فيها الأعبُدُ

و الأقربُ الأدنى يناد و يبعُدُ

إذ ردّ و هو بفرطِ غيظِ مكمُدُ

إدراكها قد كان قدماً يجهدُ

في آخرِ يوصي بها و يؤكّدُ ...

ذلّ الوليُّ بها و عزّ المفسدُ

منها فيئس الخائن...

عمداً يفرّق جمعه و يبدّدُ

كان النبيُّ له يصدُّ و يطردُ

متحيراً في حكمها متردّدُ

سعدوا به و هو الوليُّ الأوكّدُ

سعدوا به و هو الوصيُّ الأسعدُ

و وليُّه المتعطفُ المتودّدُ

في سالفِ الأيامِ آدمُ يوجدُ

من شبيبةِ الحمدِ ابنِ هاشمٍ محتدُ

للاّت و العزّي قديماً يسجدُ

و استبدلوا بالرشدِ غيًّا بعد ما

و غدا سليلُ أبي قحافة سيّداً

يا للرجالِ لأُمَّةٍ مفتونةٍ

أضحى بها الأقصى البعيدُ مقرّباً

هلاّ تقدّمه غداة براءة

و يقول معتذراً أقيلوني و في

أ يكون منها المستقبل و قد غدا

فقضى بها خسناً يغلظُ كلمها

و أشار بالشورى فقرّب نعثلاً

فغدا لمالِ الله في قربائه

و نفى أبا ذرّ و قرّب فاسقاً

لعبوا بها حيناً و كلُّ منهمُ

و لو اقتدوا بإمامهم و وليّهم

لكن شقّوا بخلافه أبداً و ما

صنوّ النبيّ و نفسه و أميئته

كُتبا على العرشِ المجيدِ و لم يكنُ

نورانِ قدسيانِ ضمّ علاهما

من لم يُقم وجهاً إلى صنمٍ و لا

(الغدِير، المجلد السادس، علاء الدين الحلّي، ٥٠٤ - ٥٠٦)

المأخذ:

القران الكريم

الغدير فى الكتاب و السنه و الادب ، امينى عبدالحسين ، دارالكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ. ق

الكافى، كلينى محمد بن يعقوب بن اسحاق، محقق و مصحح غفارى على اكبر و آخوندى محمد،

تهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ ق.